

## ماذا يعني انسحاب مصر من "الذاتي العربي" وما هي الدوافع الحقيقية؟

وهل تعود إلى الحاضنة الروسية فعلاً وتشتري طائرات "سو 35" الأكثر تطوراً في العالم؟ وما انعكاس ذلك على علاقتها مع "الحليف" السعودي والخليجي؟ وهل نرى حلفاً مصرياً أردنياً سوريماً جزائرياً عراقياً موازيًا؟ وهل هي رسالة "تمرد" إلى طهران وأمريكا معًا؟

عبد الباري عطوان

وجّه الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي صفتين قويتين للولايات المتحدة الأمريكية، الأولى عندما قرر الانسحاب من التحالف الأمني والاقتصادي لدول الشرق الأوسط، أو ما يُسمى بـ"الذاتي العربي السنوي" للحد من الدفود الإيرانية مواجهته، والثانية عزمه شراء طائرات "سو 35" الروسية المُتقدمة كبديل عن نظيراتها الأمريكية المُقاتلة مثل "إف 16، و إف 35".

وكالة أنباء "رويترز" العالمية قالت نقلاً عن أربعة مصادر إن الحكومة المصرية أبلغت الإدارة الأمريكية بقرارها هذا، ورفقت إرسال وفد لتمثيلها في اجتماع لدول "الذاتي العربي" ينعقد يوم الأحد في الرياض.

الأسباب التي أوردتها الوكالة لهذا الانسحاب مثل عدم ثقة هذه الحكومة باحتمالات فوز الرئيس ترامب، صاحب هذه الخطأ في الانتخابات الرئاسية المُقبلة غير مقنعة للغاية، ونرجح أن مصر لا تُريد زيادة التوتر مع إيران، والدخول في حرب طائفية بتحريض أمريكي سعودي، ولقاء القمة الثلاثي المُفاجئ الذي استضافته القاهرة قبل ثلاثة أسابيع وضم العاهل الأردني عبد الله الثاني، ورئيس الوزراء العراقي عادل عبد المهدي، إلى جانب الرئيس السيسى، يدعم هذه النظرية، لأن العراق بات البوابة الرئيسية غير المباشرة إلى طهران.

مصادر عربية أكدت لهذه الصحيفة، أن العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني "غير مُتحمس" للانضمام إلى هذا الحلف أيضاً لعدة أسباب، أبرزها المُعاملة "الفوقية" السعودية والخليجية لبلاده، ووقفها المساعدات، ودعمها لصفقة القرن التي ستكون على حساب الأردن وزعزعة هويته الجامحة،

وانتزاع جزء من أراضيه، وإغراقه بمليون لاجئ فلسطيني، وبــها يُؤدي إلى تحويله إلى الوطن البديل، مــضافاً إلى ذلك تجاوز بلاده بفتح دول خليجية قنوات تطبيع مــباشرة مع تل أبيب.

\*\*\*

تصريحات العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز التي أدلى بها أثناء لقائه شخصيات أردنية وأخرى فــلسطينية قبل بضعة أيام، وقال فيها إنّ بلاده تدعم الإدارة الأردنية للأوقاف في القدس المحتلة، في مــحاولة لنفي تقارير تقول إنّ السعودية تــ يريد فــرض وصيتها على المــقدسات الإسلامية في القدس المحتلة كــدليل للوصاية الهاشمية، كانت مــفاجئة ومــقصودة من حيث توقيتها لامتصاص بعض القلق الأردني.

لا نعتقد أنّ هذه التــتصريحات ستكون مــطمئنة للعاهل الأردني وتحيد حالة التوتّر في العلاقات بين البلدين لــسبــب بسيط، وهو أنّ الحاكم الفــعلي في الرياض هو الأمير محمد بن سلمان، ولــي العهد، الذي يــعتبر من أكثر الدــاعمين لصفقة القرن بــحكم صداقته القوية مع مــهندسها وعــراها جاريد كوشنر، صــهر الرئيس الأميركي، ما لم تكون هذه المــواقف مــدعومة منه ومــطــدة عمليــا، فإــنــها تتطلــل من قبيل المــجاــلة فقط.

التــقارب الأردني التركي، والتــقارب الأردني العراقي وعلى أعلى المــستويات يــوحــي بأنّ العاهل الأردني بــات لا يــعوــل على خياراته السابقة في التــحالف مع دول الخليج، والــهــان على دعمهم المــالي المــرــفــوق "بالــمــدــن"، وإنــه يــحاول فــتح آفاق جديدة، واتــبــاع سياسات تكون أكثر انسجامــا مع الشــارع الأردني ومــطالبه، سواء في الانفتاح على إــيران أو سوريا، ومن غير المــستغرب أن نــفيق في يومــ ما، وربــما وشــيك، على قرارــ أردنيــ بــفتح المــزارــات الشــيعــية في الكرك أمام الزوــار الإــيرانيــين (ضريح الإمام أبو جعفر الطــيار).

الرئيس السيسي حصل على ما يــريد من الدــعم المــالي الخليجي، (حوالــي 50 مليار دولار)، وبــات يتــبــدىــ سياسات أكثر استقلالية عن "الــكفــيل" الخليجي، وكــفــيل كــفــيله الأميركي، مثلــما أكدــت لنا مــصادر نــعتقد أنــها مــوثــقة، ولا يــريد أن يتــكرــر المشهدان الجزائري والسوداني في مصر، حيث لا تستبعد هذه الــاحتمــالية مــعظم التــحلــيلــات الاستراتيجــية الغربية.

عودــة مصر إلى الحــضــن الروسي مــجدــدا، كــمــصدر للــسلــيــح غير مــســتبــدة لأــمرــيــنــ اــســاســيــين: الأول أن الســلاح الروسي بــات أكثر تــقدــما تقــنيــا، والأهم من ذلك أنــه غير مــرــتــبــط بأــي شــروــط سيــاســية، وغير منزــوع من بعض التــكنــولوجــيا مــثــلــ نــظــيرــهــ الأــمــريــكيــ لــأسبــابــ إــســرــائــيلــيــةــ، والــثــانــيــ لــأنــهــ أقلــ تــكــلــفةــ، وــشــروــطــ مدــفــوعــاتــهــ أكثرــ مــروــنةــ.

الرئيس ترامب الذي يــرى "ربــائــن" بلــادــهــ وــحــلــفاءــهاــ يــهــرــولــونــ إــلــىــ مــوســكــوــ لــشــراءــ أــســلــحــتهاــ، وــخــاصــةــ منــظــوــمةــ صوارــيخــ إــســ 400ــ، يــعيشــ حالــةــ منــ الــارــتــبــاكــ دــفعــتهــ إــلــىــ تــهــديــدــ مــصــرــ وــتــركــياــ بــفــرــضــ عــقــوبــاتــ عــلــيــهــماــ، إــذــاــ مــضــيــاــ قــدــمــاــ فيــ خــطــطــهــمــ لــاقــتــنــاءــ أــســلــحــةــ روــســيــةــ، وــلــكــ ماــذاــ يــســتــطــيــعــ أنــ يــفــعــلــ؟ــ أــنــ يــوقفــ المــســاعــدــاتــ

المالية الأمريكية لمصر التي لا تزيد عن ميليار ونصف المليار دولار سنويًا يذهب معظمها لشركات السلاح الأمريكية؟ وتحتى لو فعل ذلك فإن الروس يمكن أن يعوضوا هذه المساعدات بطريقة أو أخرى، وبما يفك القيد الأمريكي عن المعاصم المصري المولم والمُهين.

\*\*\*

الطايرة الروسية "سو 35" التي تُريد مصر شرائها من روسيا هي أكثر المقاتلات العالمية تطورًا، تحمّل صواريخ جو جو، وجو أرض، وتبلغ سرعتها 2400 كم في الساعة، أي ضعفي سرعة الصوّات، وتطير لمسافة 3600 كم دون التزوّد بالوقود، فلماذا لا تقتنيها مصر التي تواجه تهديدات إقليمية في الشمال من إسرائيل، وفي الجنوب من إثيوبيا بسبب أخطار سد النهضة؟

انسحاب مصر من "الناتو العربي" إذا تأكّد قرار استراتيجي جريء يحرّرها من العبودية الأمريكية والخليجية معًا، ويُعيد إليها قرارها المستقل أو يعزّزه، وربّما يكون تمهيدًا لمراجعة سياساتها في استمرار التّعاون مع دولة الاحتلال الإسرائيلي في سيناء، أو هذا ما نتمنّاه والكثيرون غيرنا، خاصةً إذا جاء هذا التحوّل في إطار الانفتاح السياسي واحتراام حقوق الإنسان، والتخلّي عن السياسات الاقصائية لبعض المكوّنات السياسية، ونحن نتحدّث هنا عن المعارضه بألوانها كافة.

"الناتو العربي" الذي يرتكز على أساس طائفية لإنغراف المنطقة في حروب مذهبية يصبُّ في مصلحة إسرائيل يقترب من مرحلة الاحتضار، ولا نستبعد أن تظل عضويته مقتصرة على السعودية والبحرين، وربّما الإمارات أيضًا.. والأيّام بیننا.